مرحبا : كافيه الجمجمة

عمار عزيز - مصر

في المساحة الشاسعة بين قدحي القهوة على الطاولة وضعت الولاعة و السجائر بصوت مسموع و كأنني أستدعي تناغما شاردا بالقدر الضروري ليضفي تلاحما بين البن و التبغ ، و (أروى) أمامي واجمة ، دنوت بوجهي هامسا :

– اسم الكافيه لا يخلو من مبالغة ، و الأمر بالكاد لن يتعدى قدحا بريئا من القهوة الجيدة ، مجرد خدعة تسويقية تنطلي على من ينشدون مزاجا مفرطا في الروعة

(أروى) تداعب حافة القدح بأناملها المدببة الدموية من أثر طلاء بلون صارخ و تضحك بمستوى خافت متهكمة :

– لعلك تعني مزاجا مفزعا لدرجة تلقي خدمة الطاولات من اللحادين .

كتمت أنفاس ابتسامة كادت تلوح على ثغري بإتقان :

– مهلا ، إنهم يستعرضون محاكاة الأجواء لا أكثر .

– ولعك بالغرابة لا ينضب مطلقا يا (فادي) .

– لديك نزعة للاستخفاف بغرابتي لا تقل غرابة .

و ثمة أغنية ل Linkin park تعوي في الأجواء كشيطان صاخب محرض ، و ضوء أحمر كزحف شيوعي متدفق من محجري جمجمة منصوبة على الحائط المقابل لطاولتنا ، احتيال منطقي بلمسات الديكور حيث المحجران هما نافذتان تطالعان

الأفق منغمسا في مذبحة ، قمر القاهرة غريب الأطوار ، القاتل المتسلسل المتشح بالبرود وسط ضحاياه من النجوم ، كنا في استقباله أنا و (أروى) كحدث غرامي فريد لكنه سطع كمصاص دماء مشيعا لأمزجة مضطربة غامضة ، أتفحص الوجوه بنظرات مختلسة فلا ألمح أثرا للسعادة القمرية المتوقعة ، و كأن طاعونا من البؤس يلتهم أرواحنا تلك الليلة ، و كأن .. و كأننا نرى الكون عبر ثقب اكتئاب أسود.

صوت (أروى) يبدد السكون ، و نادل ما بقناع الجمجمة يدنو حاملا مزيدا من الأقداح ، قهوة فواحة ، و رائحة عطن قوية ، و عظام نخرة اصطناعية تكسو أرضية المكان ، معدة لإنتاج صوت التهشم لمن يخطو فوقها ، و النادل المقنع يتطوع مؤديا حركات رشيقة ، ثم يقف مشدود القامة في اتجاه القمر الدامي ليتخذ هيئة المسيح المصلوب ، و في ختام عرضه العبثي يترك كتيبين على الطاولة و يرحل .

مواجها أروى تلوت تعويذة قمرية من الكتيب :

فلنتوقف عن السباحة في بالوعات الاكتئاب.

فلنغنم خلود الحب في مكان أبعد .

فلنخلع مزاجنا المنتكس و نسعى بصدق .

إلى مرتع أعظم لإنعاش العواطف الرخوة .

تناولت (أروى) كتيبها و تلت :

و الحياة هنا .

أشبه بسكب مزيد من الرغوة فوق المنحدر .

ندس أنفسنا بين فكي السوداوية بإخلاص.

و لأن مصب حياتنا غير مجد.

فلن تلطخنا ألوانك بعد اليوم يا لوحة التقزز.

سيطوينا القمر الدامي في أمتعته ثم يرحل.

إلى حافة الكون حيث لوعة الحب صادقة .

(كافيه الجمجمة) يقع أعلى جبل المقطم ، و من السفح في ليلة القمر الدامي يمكن اكتساب حق المشاهدة الحصرية لوثب عشرات الأزواج من العشاق من محجري جمجمة بالأعلى .